III. الإنسان ... هل يتجاوز إنسانيته ؟!!

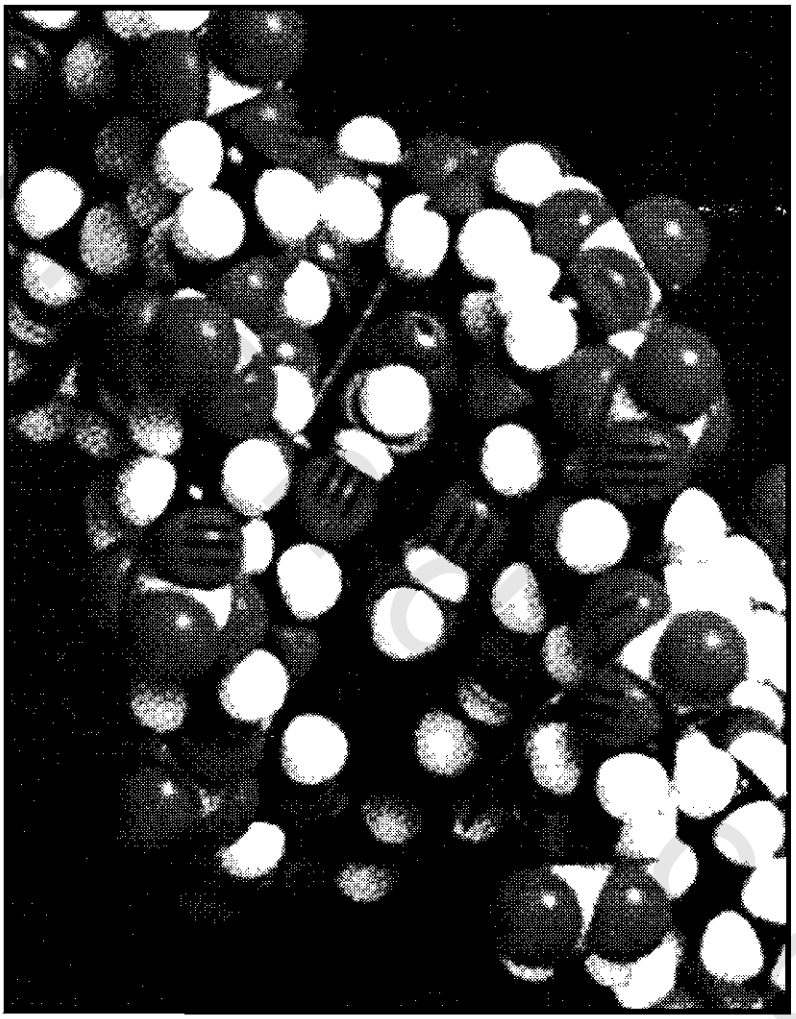

obeikandl.com

III. الإنسان ... هل يتجاوز إنسانيته ؟!!

فى المخطط المذكور سابقاً ، والذى يوضح ملامح الموجة الرابعة ، أوضحنا أن الحمل الزائد وتناقضاته يؤديان إلي أشكال عديدة من التفاعلات المتسلسلة التى يجرى تضخيمها . وينجم عن ذلك أفعال وردود أفعال متطرفة ، وممارسات لحق التدخل . وحتى نبتعد قدر الطاقة عن «الحكم القيمى المسبق» بالصواب والخطأ ، ذكرنا أن الأمر يستدعى المواجهة ، دون الاكتفاء بالتكيف ، للتعامل مع فرص ومخاطر الموجة الرابعة . ولا أنكر أن الشروح المقدمة تعرضت للمخاطر ، ولم تتعرض للفرص . فالتطرف وحق التدخل عادة ما يحملان من المخاطر ما يفوق الفرص بكثير . وأود أن أوضح هنا – وبشدة – أن التطرف وحق التدخل فى هذه الكراسة لا يتبنى مفهوم التطرف وحق التدخل فى مواجهته ، الذى تمارسه القوى المهيمنة بالشكل الذى تتصور أنه يخدم مصالحها . وهذا لا يعنى استبعاد التطرف المتضمن فى مفهوم هذه القوى ، لكننا نختلف حول التعريف وتحليل الدوافع وأسلوب المواجهة . ونتفق من أن يرى الثمن الفادح ، الذى سينتج عن قصر النظر الذى يتسم به هذا المفهوم . إننا نعنى هنا التطرف وحق التدخل بكل أشكالهما وتجلياتهما البشرية ، وفى جميع المجالات . وإن كانت اللحظة التاريخية الراهنة تشير إلى أن القدرة على الممارسة الفاعلة كثيراً ما تتركز فى أيدى أبناء هذه القوى المهيمنة بسبب التفاوت الحضارى الهائل . ولا تترك للآخرين إلا بعض ردود الفعل العدمية ، التى تستغلها القوى الكبرى للقيام بممارسات أكبر تطرفا وتدخلا (نموذج ١١ سبتمبر مثلاً ، «فالمعلومات المتاحة» عنه ، بررت قتل الآلاف الذين لا يعرفون شيئاً عن مركز التجارة العالمى أو البنتاجون . والعمل جارى على الربط بينه وبين «الدول المارقة» ، وتحديد الحريات باسم الأمن فى أمريكا نفسها ، وحق التدخل فى التعليم ، والتفتيش المستفز فى العراق ، والتلويح بالحصار والحرب ... إلخ) .

ودليلنا على الجبهة العريضة للمفهوم الذى نتبناه بالنسبة للتطرف وحق

التدخل ، أن هذا الفصل يتعرض لاحتمال وآفاق التطرف والتدخل فى الطبيعة الإنسانية ، وهو ما اعتبرناه قمة الموجة الرابعة . لقد ذكرنا فى المقدمة ، التى تباعد الحديث عنها ، وإن كنت أتمنى ألا نكون قد نسيناه فى معرض الشرح والتفصيل ، أن هنالك من يرى عدم الاكتفاء «بحق التدخل الإنسانى» ويدعو إلى «حق التدخل فى الإنسان» ، ويدعو بصراحة إلى «تجاوز التجربة الإنسانية» والتخلص من قيودها . إن الإنسان لا يمثل قمة تطور الكائنات فقط ، لكنه أحدث فى عالمه من التطور ما يجعله محتاجاً إلى أن يطور نوعه بنفسه . أو كما ذكرنا من قبل ، عليه أن يقول كلمته بعد أن قالت الطبيعة كلمتها . والهدف هو الوصول إلى فجر التاريخ ما بعد الإنسانى Posthuman History الذى يعيش فيه كائنات ما بعد إنسانية Posthumans .

والمؤمنون بهذا الهدف ، الذين يشجعون تعظيم الاستفادة من كل الوسائل المتاحة والسعى وراء وسائل جديدة لتحقيقه ، ويحتفون بكل إشارة قوية أو ضعيفة إلى إمكانية ذلك ، يعدون بفكرهم على الأقل أناساً إنتقاليين Transhumans ، يرغبون فى التحول إلى كائنات ما بعد إنسانية ، ويتمنون العيش فى عالم ما بعد الإنسان . لقد ذكرنا أن هذا الهدف لا يعد خيالاً علمياً بحتاً ، لأن القدرات العلمية والتكنولوجية المتاحة والمتوقعة كثيراً ما تفوق الخيال . ولنتذكر مقولة آرثر كلارك الشهيرة أن «أى تكنولوجيا متطورة بدرجة كبيرة sophisticated لا يمكن تمييزها عن السحر» !! وللتعرف على هذا العالم ، الذى يراه البعض ساحراً ، ولا أقول سحريا لأن المشتغلين بالعلم والتكنولوجيا لا يمارسون السحر عادة ، من المفيد أن نستعرض ما فى ورشة تجاوز الإنسان لإنسانيته من إمكانيات ، وأن نقدم تعريفاً لمفهومى الإنسان الإنتقالى وما بعد الإنسان ، والرجوع إلى أدبيات الداعين إلى التجاوز لنفهم خطابهم من خلال «الإعلان» الذى يوضحون فيه ملامح عالمهم «المأمول» .

أولاً : فى ورشة التجاوز

أكتب هذه الكلمات بعد شهر من الإعلان «الخلافى» عن مولد «إيف» أو حواء ، أول طفلة مستنسخة لأم أمريكية ، تبلغ من العمر ٣١ عاما ، أخذت خلية من جلدها وأدمجت نواتها فى بويضة من بويضاتها بعد أن تم تفريغها من نواتها . ولأن النواة تحمل البرنامج الوراثى «الكامل» للكائن ، فالطفلة «المفترض» إستنساخها تكون نسخة كربونية ، من الناحية الوراثية ، للأم التى أخذت منها النواة . لقد قدمت هذا الإعلان بريجيت بوازييه مديرة شركة كلون إيد Clonad ، التى تعد الذراع العلمى لجماعة الرائيليين المتطرفة . إن الأب الروحى لهذه الجماعة ، الذى أسمى نفسه رائيل ، أقنع أتباعه بأن كل البشر ما هم إلا نسل كائنات مستنسخة منذ ٢٥٠٠٠ سنة . هكذا أخبرته الكائنات الفضائية الخضراء ، الذين قابلهم فى سبعينات القرن الماضى . وبصرف النظر عن مدى صحة إستنساخ إيف ، أو الطفلة الثانية التى أعلنوا ميلادها من أم شاذة بعد أيام من الإعلان الأول ، فإن الاستنساخ فى رأى الرائيليين ورأى الكثيرين من دعاة ما بعد الإنسانية ، سيكون إحدى أدوات البشر لتحقيق «حلم الخلود» !!! لقد عادت الشركة ، دون تقديم أى تأكيد علمى ، وأعلنت فى ٢٤ يناير ٢٠٠٣ استنساخ طفل يابانى بأخذ أنسجة من شقيقه الذى توفى إثر حادثة ، وكأنهم يؤكدون «وهم الخلود» .

ومع الاقتناع بأن استنساخ الإنسان سيحدث ، إذا لم يكن قد حدث فعلاً ، وبصرف النظر عن الصواب والخطأ ودرجة الأمان والاعتبارات الأخلاقية رغم الأهمية القصوى لها ، فإن الخلود المتصور هو «خلود الشكل الخاص بجسد المستنسخ» ، دون عقله وشخصيته وتجاربه ... إلخ . إنه خلود متصور لإمكانياته الوراثية ، إذا لم تتعرض لبعض التأثير بالتقنيات المستخدمة . وهنا يقدم دعاة ما بعد الإنسانية حلاً أقرب إلى الخيال العلمى ، وذلك بتحميل البرنامج العقلى للمستنسخ فى الكمبيوتر ، ولا مانع من إعادة التحميل فى النسخة الجديدة . وكأننا بذلك قد فهمنا طبيعة وكيمياء الذاكرة والسلوك ، وإمكانية التحويل إلى برنامج للكمبيوتر ، وإعادة تحميله . إن هذه النقطة بالذات تعد ضربا من التطرف وتصور إمكانيات التدخل بغير علم .

لكن التكنولوجيا الحيوية والهندسة الوراثية تعدان بما هو أكثر واقعية .

فبعد الانتهاء من مشروع الچينوم البشرى ، وما يتم الآن فى مجال الچينوميات المقارنة Comparative genomics ، وبالذات بالنسبة لچينوم الفأر ، الذى لا يفترق عنا بأكثر من ٣٠٠ چين من بين قرابة ٣٠,٠٠٠ چين ، وكذلك چينوم أقرب أقربائنا من الرئيسيات العليا ، الشمبانزى ، يعد بفهم الكثير بالنسبة لخطنا التطورى ، ولقدراتنا العقلية والسلوكية واللغوية «المتميزة» ، وللأسس الجزيئية لأمراضنا الوراثية ... إلخ . وتستوقفنى حالة خاصة للتقدم فى مجال الچينوميات حدثت عام ٢٠٠٢ . لقد تم فك شفرة طفيل الملاريا والبعوضة التى تنقلها ، بعد فك شفرة الإنسان الذى تصيبه الملاريا . أنها دائرة يعد استكمالها بفهم الكثير بالنسبة للعلاقات المتشابكة بين الكائنات . فالهدف البعيد للچينوميات لا ينحصر فى قراءة «كتاب الإنسان الوراثى» وحده، ولكن كتب كل الكائنات والمقارنة بينها (انظر كراسة : عالم جديد شجاع: عصر الچينوم وإعصاره ، كراسات مستقبلية ، المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠٢) . إن الهدف البعيد هو «مشروع المحيط الحيوى البشرى Biosphere Genome Project ، وليس مشروع الچينوم البشرى وحده . إن دراسة الچينومات المقارنة وتقنيات الهندسة الوراثية يسمحان بالتفكير فى التدخل الهادف «لتحوير البشر» . إننا نفهم من دودة النيماتودا أسرار طول العمر وتأخير الشيخوخة ، وتنقل إلى الفأر چينات تجعله أكثر ذكاءً ، ونحور الكائنات لتكون مقاومة للأمراض ... إلخ . لماذا لا ننجب أطفالاً بمواصفات وراثية حسب الطلب ؟ هذا ما يدعو إليه مصممو الأطفال designer babies ، وما يحبذه دعاة تجاوز الإنسانية. وفى هذا المجال الكثير من الإمكانيات العلمية والتكنولوجية التى تستحق الالتفات والنقد البناء ، من منطلق المواجهة والتعامل مع الفرص والمخاطر ، كما ألمحنا من قبل (الذكاء الفائق – تعدى متوسط العمر المائة بكثير – المقاومة الشاملة للأمراض – اكتساب قدرات بدنية وسلوكية غير عادية ... إلخ) .

ورغم الأهمية القصوى للتحوير ، باعتباره تدخلاً جذرياً فى برامج البشر وإمكانياتها الوراثية ، بما يؤكد الهدف من تجاوز الإنسانية كما نعرفها ، إلا أنه ليس وحده . فترسانة العقاقير التى تتحكم فى الحالة المزاجية والقدرات الفكرية، والتى تصنع بوسائل التكنولوچيا الحيوية وغيرها تعد بالكثير . هذه العقاقير لا تعالج الاكتئاب أو الأمراض النفسية والسلوكية وحدها ، ولكن

هنالك ما يشعرنا بالسعادة الدائمة والاستمتاع الجنسى والقدرة على التركيز وجودة الأداء ... إلخ . إن ثورة البروزاك تتواضع أمام القائمة الطويلة التى تنتظرنا ، والتى تجعلنا نعيش فى «عالم افتراضى» من صنعنا . لقد دفع ذلك محلل سياسى مثل فرانسيس فوكوياما إلى الحديث عن «المستقبل ما بعد الإنسانى» فى كتاب صدر عام ٢٠٠٢ (وترجمه د. أحمد مستجير ، دار سطور ٢٠٠٢) ، يؤكد فيه أن توظيف المنجزات الوراثية وعالم العقاقير لا يجب أن يتم التعامل معه بخفة ، وأن الخطاب الأخلاقى وحده لا يكفى لمواجهة البزنس الداعم له ، ولكن لابد من رؤية وتنظيم سياسى لذلك .

ولأن ورشة التجاوز تنطلق من الجمع بين التطور (الچينوميات المقارنة لمختلف الكائنات) والتكنولوچيا الحيوية (الهندسة الوراثية والاستنساخ وبحوث الخلايا الجذعية ، القادرة على التشكل بنوعيات الأنسجة ، المختلفة والعقاقير ... إلخ) والمعلوماتية ، فلابد من الالتفات إلى ما تقدمه المعلوماتية للوصول إلى التاريخ ما بعد الإنسانى . وهنا ، لابد وأن يتطرق إلى ذهن القارئ الذكاء الإصطناعى والحياة الإصطناعية وآفاقهما . إن صناعة روبوطات ذكية آخذة فى التقدم ، بالشكل الذى يرى فيه الكثيرون خطورة على الذكاء البشرى .، ويرى دعاة تجاوز الإنسانية أن الحل الوحيد لاحتفاظنا بالسبق أن نطور إنسانيتنا ونحفز ذكاءنا بحيث يظل متفوقا على ذكاء ما نصنعه من أجهزة . إن عقولنا، كما ذكرنا من قبل ، مجهزة للتعامل مع المتغيرات الشديدة دون أن تلحظ الإشارات الضعيفة المتراكمة . وهكذا يفاجئنا المستقبل بمتغيرات تصدمنا ، أغلبها مما لم نلحظه ، رغم أنه من صنع أيدينا . هل يمكن أن نطور ذكاءنا بحيث يستجيب إلى الإشارات الضعيفة أيضاً ؟ وهل يمكن أن نجمع بين المعلوماتية والتكنولوجيا الحيوية والتطور لتحقيق ذلك ؟ هل نستفيد من إمكانيات كائنات أخرى ترى العالم وتستشعر بمتغيراته بشكل مختلف عنا ، ونجهز عقولنا معلوماتيا لذلك ؟

وهل تظل علاقاتنا بأدواتنا المعلوماتية مقتصرة على اعتبارها امتداداً لنا ، أم نتوحد معا ونصير كائنات مأتمنة automated أو سيبورجات Cyborgs زرعت فى أجسادها بعض أدواتها المعلوماتية ؟ هذا الموضوع ليس خيالاً علمياً ، ولكن هنالك إشارات ، للقارئ أن يعدها ضعيفة أو قوية ، على تحقيقه .

يقول كيفن فارفيك ، عالم السيبرنطيقا (علم التحكم الذاتى أو الضبط كما يترجم عادة) ، الذى يعمل فى جامعة ريدنج البريطانية ، أنه قد ولد إنسانا ، لكن ذلك كان بالمصادفة ودون اختيار . ولقد قرر أن يتحول إلى سايبورج ، ليتعرف على إمكانيات استخدام هذا التحول فى خير الإنسانية (أو ما بعد الإنسانية ، فى رأى دعاة التجاوز) . لقد وضع فى ذراعه عام ١٩٩٨ شريحة تجعل أبواب العمل تنفتح أمامه عند وصوله وتضئ معمله . وفى عام ٢٠٠٠ زرع شريحة أخرى تسمح له بإرسال إشاراته وانفعالاته إلى الكمبيوترات المحيطة . لقد تكلفت العملية الأخيرة أكثر من سبعمائة ألف دولار . وهو يتفهم ما نستشعره من انفعالات متضاربة حيال هذه الإمكانيات. لكنه يؤكد أن مـــن بين فوائد القيام بذلك مساعدة الذين أصبوا بالشلل الكامل ، مثل كريستوفر ريف ، الذى أمتع الكثيرين بدوره فى حلقات السوبرمان . إن تقنيات تجاوز الإنسانية ، التى تستهدف فى وصف البعض الوصول إلى السوبرمان ، مرشحة لعلاج هذا السوبرمان .

إن التطبيقات ، التى تبدو تقليدية فى نظر من يريدون تجاوز الإنسانية ، للچينومات المقارنة والتكنولوجيا الحيوية والمعلوماتية ، تركز على علاج الأمراض وأوجه القصور وصولا إلى الحالة العادية للإنسان السوى . لكن ما يطلبه هؤلاء هو الانتقال من العلاج إلى التعزيز enhancement ، بزيادة القدرات والتخلص من القيود . أو الانتقال من الإنسان العادى إلى ما فوق العادى. ويريدون توفير المناخ الملائم لأمثاله ، عن طريق التعامل مع تكنولوجيات شديدة الاستدقاق (النانو تكنولوجيا) وعالم من الواقع الافتراضى ، الذى تكتسب فيه الخبرات والمشاعر دون اتصال عادى . والتعامل مع عالم «التصنيع الجزيئى» والمنتجات التى تشكل ذرة بذرة ، ومع الواقع الافتراضى، الذى يختلط فيه الخيال بالحقائق يحتاجان إلى ما ذكرناه من كائنات تتمتع بالذكاء الفائق . ولا بأس من تحميل عقولها خارجها ، وشحنها ببرامج مستحدثة لتزيد من كفاءتها . وها هو فارفيك يزرع الشرائح فى جسده ، ليزيد من احتمالية إيجاد علاقة إندماجية جديدة بين الإنسان والآلة . وجماع هذا كله ، كما يرى الداعون إلى تجاوز الإنسانية ، حدوث تطور لا يمكن تمثيل تسارعه أو تقاومه ، ومعدله أو اتجاهه بالمنحنيات، حيث يتخذ خطا عموديا صاعدا بلا توقف . هذا ما يسمونه بالتفرد singularity . والتفرد

الذى يعنونه نقطة افتراضية تحدث عندما تطلق كل طاقات الذكاء الاصطناعى وإندماج المخ البشرى مع الكمبيوتر ، وكل ما يمكن تصوره من أشكال التعزيز والتجاوز . ويأتى استخدام مصطلح التفرد هنا تشبها باستخدامه فى الفيزياء والكونيات ، حيث يعبر فيهما عن نقطة افتراضية أيضاً ، كانت كثافة المادة وطاقتها الكامنة غير محدودة ، وبحدوث الانفجار العظيم بدأت رحلة الكون

ترى ، ما هـو الإنفجار العظيم الذى تأتى به الموجـة الرابعة ، وما تتضمنـه من دعـوة إلى تجـاوز الإنسان لإنسانيته ؟ إن مجرد التغير المتسارع قد أحدث لنا صدمة المستقبل الأولى ، فماذا عن التفرد والصدمة التى يحدثها ؟ لعل دعاة التجـاوز على حق فى ذكرهم أن هذا العالم ليس للإنسان ، ولكن لما بعد الإنسان !!! فما هو تعريف ما بعد الإنسان ، والإنسان الانتقالى الذى يبشر به؟

obeikandl.com

ثانيا : خطاب التجاوز

إن كلمة ترانسهيومان Transhuman مشتقة من كلمتى انتقالى tsansitional وإنسان human (هل نكتفى بالتعريب ، أم نقدم ترجمة قد يقبلها القارئ مثل ترانسان أو عبرنسان ؟) . عموما مصطلح ترانسهيومان يعنى فى أدبيات أصحابه ما يلى :

«الترانسهيومان هو أى فرد يعد نفسه ليكون بوستهيومان (كائن ما بعد إنسانى) . وهو على دراية واسعة بالإمكانات والخطط المؤدية إلى ذلك ، وعلى استعداد لكل خيار متاح للتعزيز الذاتى لقدراته» .

أما مصطلح بوسهتيومان (بعدنسان !!!) فيعنى :

«البوستهيومان ينحدر عن الإنسان بعد تزويده بكل إمكانيات التعزيز والتجاوز ، بحيث لا يمكن اعتباره إنساناً . وكثير من الترانسهيومانيين يتطلعون إلى أن يصبحوا كذلك» .

وبافتراض أن ما بعد الإنسان ، بكامل مواصفاته ، لم يأت بعد ، دعونا نطلع على «إعلان الترانسهيومان» الذى يتبناه الاتحاد العالمى للترانسهيومانيين .

« الإعلان الترانسهيومانى»

(١) فى المستقبل ، سيتم تغيير الإنسانية جذريا بواسطة التكنولوجيا . إننا نرى إمكانية إعادة تصميم الحالة البشرية ، بما فى ذلك رفض حتمية حدوث الشيخوخة ، والقيود على الذكاء البشرى والاصطناعى ، والاستسلام للعديد من أشكال المعاناة النفسية ، والارتباط بكوكب الأرض .

(٢) إن البحث المنظومى يجب أن يوجه إلى فهم هذه التطورات الآتية وآثارها بعيدة المدى .

(٣) إن الترانسهيومانيين يعتقدون ، استناداً إلى انفتاحهم وترحيبهم بالتكنولوجيا الجديدة ، أنهم يمتلكون فرصة أفضل لتوجيهها إلى صالحهم ، بدلاً من محاولات الإدانة والحظر .

(٤) والترانسهيومانيون يشجعون الحق الأخلاقى لمن يرغب فى استخدام التكنولوجيا لتعزيز قدراته البدنية والذهنية (بما فى ذلك التكاثرية) ولتطوير

القدرة على التحكم فى حياتهم الخاصة . إنهم ينشدون النمو الشخصى الذى يتخطى القيود البيولوجية الحالية .

(٥) وفى التخطيط للمستقبل ، من الضرورى أخذ آفاق التقدم التكنولوجى الشديد فى الاعتبار . فمن المؤسف إعاقة الفوائد المتوقعة بسبب كراهية التكنولوجيا أو العمل على منعها من ناحية ، ومن المؤسف أيضاً أن تدمر الحياة الذكية بسبب الكوارث أو الحروب التى تعتمد على التكنولوجيا المتقدمة .

(٦) هنالك حاجة لإنشاء منتديات للحوار عما يجب عمله ، ونظام اجتماعى يمكن فيه تطبيق القرارات المسئولة .

(٧) إن الترانسهيومانيين يؤيدون العيش الطيب لكل صاحب حس وشعور (سواء على شكل من أشكال الذكاء الاصطناعى ، أو البشر ، أو ما بعد البشر ، أو الحيوانات غير البشرية) ، ويتبنون الكثير من مبادئ الإنسانية المعاصرة . وهم لا يؤيدون أى حزب أو برنامج سياسى بالذات .

لقد أوردت ما يشبه الترجمة الحرفية للإعلان ، حتى يستطيع القارئ أن يتبين ما فيه من معقولية وتجاوز ، فى ضوء التفاصيل التى وردت عبر الكراسة ، ويبقى سؤال ختامى : هل تستحق الإنسانية إن نتجاوزها ؟ وبمعنى آخر ، هل اكتملت التجربة الإنسانية حتى نتجاوزها . هذا هو حديث الختام ، أو الخاتمة .

obeikandl.com

خاتمة : الإنسانية .. تجربة لم تتم !!

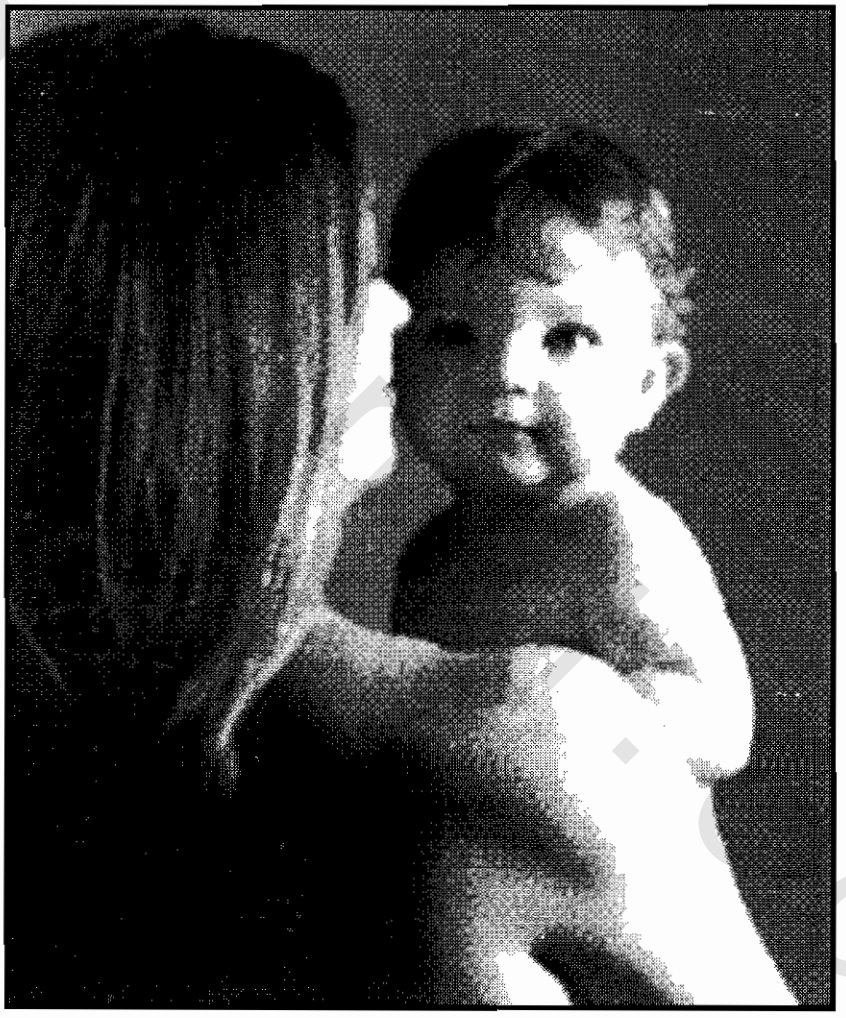

obeikandl.com

خاتمة : الإنسانية .. تجربة لم تتم !!

لا شك أن فعل التجاوز عندما لا يكون مبرراً ، يكون فعلاً متطرفاً . وعندما يتعلق الأمر بتجاوز الإنسانية ، وبالدعوة إلى فتح الباب على مصراعيه أمام كافة أشكال التدخل الممكنة ، فإن الأمر قد يكون أشد تطرفا . وعندما يتعلق التدخل بتوظيف إمكانيات التقدم العلمى والتكنولوچى ، فلابد وأن نحرض على ألا يكون رفض التطرف فى التدخل والتوجيه مدخلاً لمعاداة العلم، التى تستهوى الكثيرين . إن الرفض فى هذه الحالة يجب أن يفهم فى إطار رفض التطرف ، كسمة عامة كاسحة من سمات الموجة الرابعة التى فصلناها فيما سبق . فكما نرفض التطرف العرقى والطائفى ، الذى يتجاوز فيه الإنسان إنسانيته بالعودة والارتداد إلى البربرية والتوحش ، وكما نرفض التطرف السياسى والاقتصادى والعسكرى وبفرض الهيمنة وغطرسة القوة ، نرفض أيضاً التطرف فى توظيف العلم والتكنولوچيا دون حساب للعواقب .

- إن دعاة التجاوز يريدون السماح بحق التدخل فى البرنامج الوراثى والعقلى للإنسان بهدف التعزيز وليس العلاج ، ويرون أن ذلك سيؤدى إلى تنوع فى البشر ، بحيث تظهر منهم جماعات متميزة clads لكل منها خصائصها المختلفة البيولوجية والسلوكية .

- كما أنهم يطالبون أن يمتد التعزيز من الخصائص البيولوجية إلى إيجاد علاقات إندماجية مع الآلة ، وبالذات مع ما يتعلق بالمعلوماتية والتحكم والذاتى والأتمته .

- ولا بأس من يطالب بعضهم بحق التجرد من الجسد وتحميل محتويات عقولهم فى الحواسب ، أو بحق الخلود عن طريق الاستنساخ .

إن نقاد التجاوز ينظرون إلى هذه «الحقوق المستحدثة» المستفزة فى ضوء ما يعانى منه بلايين البشر ، من نقص الغذاء والماء النظيف والملبس المناسب والهواء النقى . ومع ما لهؤلاء النقاد من حق فى الشعور بالاستفزاز ، إلا أننى

أفضل المواجهة من منطلق حسابات الفرص والمخاطر . فقد يكون فى بعض أشكال التعزيز (حق التنوع) ما هو خير ، كإكساب الأفراد مقاومة لبعض الأمراض ومسبباتها ، وهو ما قد ينفع قطاعات كبيرة من البشر عندما تكون التكنولوجيا متاحة بأسعار معقولة . وهى لن تكون كذلك أبداً إذا ما قاومنا ظهورها أصلاً . والعلاقة الإندماجية بين الإنسان والآلة (حق الأتمتة) قد تكون مفيدة فى بعض الحالات العلاجية ، أما ما عدا ذلك ، ومع احترامى لما قام به كيفن فارفك على نفسه من تجارب لزراعة الرقائق ، فإن من الأسهل حمل أجهزة صغيرة فى الجيب تقوم بنفس العمل ، مثل الريموت كنترول وغيره ، دون جراحة مجهدة ومكلفة . وبصرف النظر عن تشجيع الاستنساخ وصولاً لممارسة «حق الخلود» المتوهم ، فلا أظن أن هنالك من يرفض الأهداف النبيلة للاستنساخ العلاجى ، والعمل على تشجيعه ، رغم الصعوبات العلمية التى يجب أن يجتازها . ولا بأس من وضع الضوابط ، بالنسبة لإمكانية استخدامه فى الاستنساخ التكاثرى ، الذى يرفضه الكثيرون بفهم وبغير فهم ، ويؤيده دعاة التجاوز بغير فهم ، باعتباره طريق الخلود . ويكفى أن من بين القائلين بذلك المشعوذ الذكى رائيل ، الذى شغل هو وشركة كلون إيد التى تنتمى إلى جماعة ، بحكاية الطفلة «إيف» وغيرها ، التى ما زال الاختبار اللازم لتأكد من صحة استنساخها مؤجلاً إلى أجل غير مسمى . وحتى لو أثبت الاختبار ذلك ، فلا علاقة للأمر بالخلود ، وإلا لكانت كل أشكال التكرر خلوداً . وعموما تنطلق هذه الدعوة من ضعف الحس الدينى لدى هذه الجماعات . أما «حق التجرد» من الجسد وتحميل العقل ، فيسأل فيه أخصائيو الأمراض العقلية وحدهم !!

وبصرف النظر عن أية تفاصيل ، يمكن أن تقال فى نقد دعاة التجاوز أو تأييدهم ، فإن منطلقهم القائم على أننا يجب أن نتجاوز التجربة الإنسانية ، يمثل الخطأ الأكبر ، لأن الإنسانية تجربة لم تتم . وإذا كانوا يعتمدون على العلم فى تحقيق حلم التجاوز ، فالعلم هو الذى يقول لنا أن الإنسانية تجربة لم تتم ، ولا يمكن تجاوزها قبل تمام فهمها ، إلا إذا كان التجاوز فعلاً أحمقاً . لقد تعرفنا على حروف كتاب الإنسان (الچينوم) ، ولكن بقى الكثير لفهمه «وقراءته النقدية المقارنة» مع كتب الكائنات الأخرى (ماذا يعنى أن نكون ٩٨٪ شمبانزى) ، قبل التفكير فى التفكيك وإعادة التصميم ، إلا فى

الحدود الضيقة لتصحيح الأخطاء وعلاج الأمراض ، كما توصلنا إلى خريطة عامة للمخ ووظائفه ، قد تكون مفيدة جداً ، وهى كذلك بالفعل ، لكنها تشبهه فى دقتها ما قام به راسمو الخرائط فى العصور الوسطى ، الذين ذكرناهم من قبل . كما أننا نطور آلاتنا ، وبالذات فى مجالات مثل المعلوماتية والتحكم ، بأسرع مما تستوعب آثارها بعيدة المدى . ولا نعرف الكثير عن سلوكنا ، أو عن تأثير البيئة والثقافة فى تفاعلهما مع چيناتنا وجسدنا ، وحدود قدرة هذه الجينات وما تستطيع أو لا تستطيع القيام به ... إلخ . فأى إنسان نريد أن نبشر بالآتى بعده ؟ وأى إنسانية نريد أن نتجاوزها ؟ نقول ذلك رغم أن بعض الكتب الهامة لمؤلفين ثقاة (فوكوياما مثلا) قد بدأت تتحدث عن ما بعد الإنسان ومستقبله . وهو أمر طيب ، ما دام يستهدف التنوير والتنبيه .

إننى اعتقد أن الحديث عن الإنسانية أصعب بكثير من الحديث عن الإنسان . إننا نتحدث مثلاً عن إنسان سوى وغير سوى ، خير وشرير ، لكن أحاديثنا عن الإنسانية لا تكون عادة إلا بالخير . لا بأس ، فرغم ما فى ذلك من خلط ومراوغة ، دعنا نتصور كل ما هو جميل ومستقر فى ذهننا عن «الإنسانية» ، وفى هذه الحالة ليس من المعقول أن ندعو إلى تجاوزها ، ولكن المطلوب أن نعمل جميعاً بهدف التوصل إليها ، وإلى ما تتسم به من معانى الحق والخير والجمال . هذه هى عدتنا ، وهذا هو عتادنا فى «مواجهة» تطرف الموجة الرابعة وأشكال تدخلها فى كل المجالات التى تعرضت لها الكراسة ، من الأحادية القطبية المتجاوزة للإنسانية بغطرستها وقوتها «التكنوترونية» التى تهدد الإنسانية ومستقبلها باستخدامها ، إلى التنوع ما بعد الإنسانى ، الذى يدعو إليه بعض الترانسهيومانيين ، الذى يهدد بانقسام يتجاوز حدود الإنقسام العرقى والطائفى الذى يعانى منه عالمنا بشدة . إننا فى حاجة إلى مشروع طموح لفهم الإنسانية ، يقوم على «وحدة المعرفة» ، التى تجمع العلم الاجتماعى والعلوم الطبيعية والتربية والفنون والآداب ، فى رؤية شاملة تستهدف استشراف المستقبل وحل التناقضات فى الموجة الرابعة و«أحمالها الزائدة» لتعظيم الفائدة من الفرص الممكنة وزيادتها ، وتفادى المخاطر المؤكدة ، وتقليل آثارها .

obeikandl.com

مصـــــادر

الكتب :

* Bauman, Z. (1998) Globalisation : The Human Consequences, Polity Press.

* Brezezinski, Z. (1970) Between Two Ages ; America's Role in the Technatzonic Era, Viking Press.

(ترجمه إلى العربية د. محجوب عمر)

* Coates, J. & A. Hines (1997) 2025; Scenarios of US and Global Society Reshaped by Science and Technology, Oak Hill Press.

* Dychwald, K. &. Flower (1990) Age Wave: How the Most Im-qortant Trend of Our Time Will Change Our Future, Bantam.

* Fukuama, F. (2002) Our Post Human Future, Farar.

(ترجمه إلى العربية د. أحمد مستجير)

* Marks, J. (2002) What it Means to be 98% Chinpanzee , Univ of California Press.

* Moss, L. (2003) What Genes Can't Do, MIT Press.

* Mulhall, D. (2002) Oure Maleculor Future, Prometheus.

* Naisbitt, J. (1997) Megatrends Asia, Touchstone.

* Naisbitt, J. & P. Aburdene (1991) Megatrends 2000, Avon .

* Ornstein, R. & P. Ehrlich (1990) New World New Mind.

(ترجمه إلى العربية د. أحمد مستجير)

* Rheingold, H. (2002) Smart Mobs, Perseus.

* Rifkin, J. (2002) The Hydrogen Economy, Tarcher.

* Rothmans, S. (2002) Lessons from the Living Cell, Mc Graw Hill.

* Segerstrale, V. (2000) Defenders of the Truth, Oxford Univ. Press.

openkandil.com

* Stock, G. (2002) Redesigning Humans, Houghton Mifflin.

* Stonier, T. (1992) Beyond Information, Springer Verlag .

* Toffler, A & H. Toffler (1995) Creating a New Civlisation, Turner.

* Wilson, E. (1999) Consilience : The Unity of Knowledge, Knopf.

بعض المواقع المختارة على الإنترنت :

http://www.transhumanism.com

http://www.extropy.org

http://www.foresight.org

ويمكن الاشتراك المجانى فى مجموعات المناقشة الخاصة بهذه المواقع ، وتلقى الرسائل التى سيزدحم بها بريدك الإلكترونى ، كما فعلت شخصيا . هذه الرسائل تعرض الكثير من الإنجازات المنشورة فى المجلات العلمية ، والاتجاهات المطروحة فى مجال المستقبليات بشكل عام ، وتوظف كل ذلك لأهدافها . إن تحليل المضمون الخاص بتوظيف الرسائل المذكورة يستحق المعالجة المستقلة ، وربما يكون ذلك فى كراسة تالية بإذن الله .

وبالمناسبة ، لماذا لا نبدأ حواراً بيننا وبين بعضنا ، وبيننا وبين الآخرين ، لنعرض رؤيتنا أو رؤانا المختلفة فى هذه الاتجاهات ؟ إننى أذكر بريدى الإلكترونى ، مصحوباً بالدعوة إلى بدء هذا الحوار :

a_shawky@mailer.cun.eg

أحمد شوقي

أستاذ علم الوراثة – جامعة الزقازيق